الأثري الانسان والشاعر

الدكتور احمد مطلوب

عضو المجمع

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

(١)

في نيسان ١٩٥٧م دخل عليَّ الاستاذ محمد بهجة الاثري مفتش اللغة العربية ، وكنت أتحدث لطلبة السنة الثالثة المتوسطة بثانوية كركوك عن الرصافي وأقرأ بعض أبيات قصيدته « حكومة الانتداب » التي مطلعها :

أنا بالحكومة والسياسة أعرفُ ... أَأُلامُ في تفنيدها وأعنَّفُ ؟

ومنها :

عَلَمٌ ودستورٌ ومجلس أمةٍ ... كلٌّ عن المعنى الصحيح مُحَرَّفُ

أسماء ليس لنا سوى ألفاظِها ... أما معانيها فليست تُعْرَفُ

وأوجست خيفة لانني كنت قد خرجت من معتقل السعدية قبل ثلاثة شهور من ذلك اليوم وتبسم وقال : استمر في الكلام .

وثابت نفسي اليَّ ووجدت فيها قوة وسنداً أمام الرجل الذي ناضل طويلا من أجل عروبته ودينه الحنيف ووطنه العزيز ، ولقي من عنت الحكام ما لقي وزُجَّ في غياهب المعتقلات بعد اخفاق ثورة أيار ١٩٤١م . وقبل أن يخرج من قاعة الدرس طلب مني أن أقابله في غرفة مدير الثانوية الاستاذ فاتح مصطفى ـ رحمه الله ـ وعاد اليَّ القلق وسألت نفسي : ماذا يريد الأثري مني وهو لا يعرفني ولم أره من قبل ، وإن تتلمذت على كتبه وشعره وكان

شخصه حاضرا أمامي خلال سنوات طويلة ؟ وانتهى الدرس وذهبت اليه أجرّ الخطى فتلقاني باسما وسمح لي بالجلوس ، ثم بادرني قائلا : لقد عرفت بقصة اعتقالك وارسالك الى كركوك فتألمت كثيرا ، ورغبت في أن أراك ، والآن وقد رأيتك فهل تريد العودة الى بغداد ؟ قلت : هذا منك فضل عظيم .

وهنا تدخل المدير ورجاه أن أكمل العام الدراسي ، فوافق ووافقت ، ولم يكد الصيف يبلغ نهايته حتى بشّرني بالنقل بفضل ما سعى اليه عند وزير المعارف .

ولم تنقطع صلتي بالأثري ، وأنّى يكون ذلك ، وقد وقف الى جانبي وهو لم يرني إلاّ مرة واحدة ، وكنت أزوره وهو مدير عام للاوقاف وانتفع بنصائحه الصادقة وعلمه الغزير ، وقد طلب مني وأنا في الدراسة العليا أن أدرس الحياة الفكرية في مدينتي تكريت لتكون رسالة لنيل الفاضلية (الماجستير) من جامعة القاهرة ، ولكن رغبتي في التخصص بالبلاغة والنقد وجهتني وجهة أخرى فأخترت « البلاغة عند السكاكي » موضوعا للرسالة . وكان الأثري أول من عقد صلتي بالمجمع العلمي العراقي إذ نشر لي عام ١٩٦٣ بحث « منهج السكاكي في البلاغة » في مجلة المجمع وتوثقت صلتي بهذه المؤسسة الرفيعة حتى أصبحت عضوا فيها وزميلا للأثري ، وإن كنت أنظر اليه نظرة التلميذ المبتدىء الى شيخه الجليل واستاذه الكبير . وهذه الانسانية التي يخفق بها قلبه حركت الشعر في نفسه وهو في العشرين من عمره ، وذلك بعد أن بدأ دراسة اللغة العربية وعلومها بعامين ، وكانت لغته قبل ذلك التركية لانه نشأ في ظل الدولة العثمانية ، وولد في اواخر جمادى الاولى سنة ١٣٢٠هـ

(١) قال الاثري في ترجمة حياته المحفوظة في المجمع العلمي العراقي : « بحسب السجلات الرسمية » ثم قال : « واظن الصحيح قبل ذلك في منتصف سنة ١٣٢٠ هـ » والمعلومات الواردة في هذا البحث عنه مستقاة من اضبارته الشخصية في المجمع ولكنه ذكر لي انه ولد في ايلول سنة ١٩٠٢م ، وقد أثبت ذلك في الاصل .

ــ أيلول ١٩٠٢م كما قال لي ببغداد ، وهي ترزح تحت الحكم العثماني وتتنفس لتستاف عبير الحرية بعد قرون من الكبت والقهر والحرمان ، ولترى النور بعد سنوات من الظلام . وأبوه هو محمود بن عبدالقادر بن احمد بن محمود ، وأصله من ديار بكر بن وائل . وكان قد هاجر منها جد الاسرة الاعلى الى اربيل ثم رحل الى بغداد واستقر فيها . وأمه هي السيدة زينب(٢) بنت محمد أمين ، تركية الاب تركمانية الأم من مدينة كركوك ، وكان لهـا الفضل الكبير في اتقانه التركية لغة البلاد الرسمية يومذاك ، وقد تفوق في هذه اللغة على أقرانه ولايزال يتقنها بعد هذه السنين الطوال ، وما زلنا نلجأ اليه في لجان المجمع للتأكد من لفظة تركية تمر علينا في المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية فيشرح لنا معناها ، واستعمالها ، ويبين اصلها إن كانت محرفة أو قد مسّها شيء من التغيير . كانت ثقافته الاولى تتصل بما كان سائداً في عهد صباه ، وكانت اللغة التركية تجري على لسانه في قاعات الدرس والامتحان ، وكانت بعض اللغات الاجنبية الفارسية والفرنسية والانكليزية تأخذ طريقها الى لسانه وهو يدرس في بعض المدارس البعيدة عن أثر الحكم العثماني بعد زوال هذا الحكم . وحينما بلغ الثامنة عشرة من عمره اتجه الى دراسة اللغة العربية وعلومها والعلوم الاسلامية وكان في طليعة العلماء الكبار الذين اخذ عنهم علمه العلامة علي علاء الدين بن العلامة أبي البركات بن نعمان خير الدين بن أبي الثناء محمود شهاب الدين المتوفى سنة ١٣٤٠هـ ، ثم محمود شكري الالوسي المتوفى في رابع شوال ١٣٢٢هـ ــ ٨ أيار ١٩٢٤م ، وكان له أثر كبير في توجهه الى الثقافة العربية الاسلامية ، ولايزال يذكره بتجلة واكبار ويتحدث عن علمه الغزير ، وقد نشر بعض كتبه وأصدر في عام

(٢) في عصر الاربعاء ١١ جمادي الاولى ١٣٦٠ هـ الموافق ٢٧ أيار ١٩٤٢م وهو في معتقله بضاحية العمارة بشر بمولودة له فسماها « زينب » باسم امه (ينظر ملاحم وازهار ص ٣٨٤) .

١٩٥٨ كتاب « محمود شكري الالوسي وآراؤه اللغوية » تكلم فيه على عصره وبيئته العامة ، وأسرته وبيئته الخاصة ، ومعالم سيرته ، ومنزلته وأثره في عصره ، ومؤلفاته ، وعنايته باحياء آثار السلف ، ودراسته اللغوية . ويعد هذا الكتاب أهم مصدر عن الالوسي لانه صدر عن أحد تلاميذه الأوفياء الذين سجلوا الحقائق ، وكشفوا عن الحياة الثقافية في مطلع القرن العشرين.

ومضى الأثري في الدرس والتحصيل بعد وفاة أستاذه وكان صيته قد انتشر في العراق لصلته الوثيقة بالالوسي ، ولجرأته ، ولعلمه الذي بدأ يتفتح عن موهبة عظيمة وحافظة عجيبة . وبدأ يكتب المقالات في الصحف ويشتبك في خصومات أدبية ، ومن ذلك نقده لجميل صدقي الزهاوي في موضوع « الشعر المرسل » الذي كان الشاعر من دعاته ، ورده قبل ذلك عليه في نقد قصيدة أحمد شوقي في رثاء (اسماعيل صبري) وكان الزهاوي قد نشر في جريدة العراق بتوقيع « شاعر عراقي كبير » نقداً للقصيدة ، فردّ الأثري كلامه ردا قويا ، وفند اراءه وصحح ما وقع فيه من أخطاء . وأثار هذا النقد رشيد الهاشمي فرد عليه ، وعاد الاثري ورد على الهاشمي . وكان لهذه المقالات والمساجلات التي نشرها الزهاوي والأثري والهاشمي قيمةكبيرة، لانها تصور مساجلات النقد الادبي في الربع الاول من القرن العشرين الميلادي، ولانها نقد لقصيدة من قصائد الشاعر الكبير احمد شوقي(٣) وكان لابد لاديب يشق طريقه من أن يبحث عن عمل ينتفع بايراده ويوثق صلته بالحياة فدرّس في ثانوية التفيض الاهلية سنة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥م ، ثم في الثانوية المركزية ، وفي عام ١٩٣٦م أصبح مديرا لاوقاف منطقة بغداد ثم مفتشا اختصاصيا في وزارة المعارف ، وأسهم في ثورة أيار ١٩٤١ بشعره . وأذاع قصيدة (ثورة أيار) من دار الاذاعة والطائرات البريطانية تحوم عليها وعلى أجواء بغدادلتقلى

(٣) ينظر كتابنا النقد الادبي الحديث في العراق ص ٧٧ ـ ٧٨ .

الرعب وأخففت الثورة وأعاد الانكليز الحكام الى البلاد ففصل الاثري من وظيفته مدة خمس سنوات امتدت الى سبع سنوات وسيق في الثلاثين من تشرين الاول عام ١٩٤١م الى معتقل الفاو ثم نقل الى معتقل سامراء ثم الى معتقل العمارة ، وخرج من سجنه في السابع والعشرين من أيلول ١٩٤٤م[٤] .

وفي الخامس من نيسان ١٩٤٨م أعيد الى وظيفته بديوان وزارة المعارف وكان قد انتخب عضوا في لجنة التاليف والترجمة ثم عضوا في المجمع العلمي العراقي بعد صدور نظامه رقم (٤٢) لسنة ١٩٤٧م اذ اختار وزير المعارف أربعة عاملين هم محمد رضا الشبيبي ، ومحمد فاضل الجمالي ، وهاشم الوتري ، ومتى عقراوي ، واجتمع هؤلاء الاربعة فانتخبوا توفيق وهبي — وزير المعارف — ومحمد بهجة الاثري ، وجواد علي أعضاء عاملين ، ثم انتخب هؤلاء الاعضاء السبعة نصرة الفاسي ، ومنير القاضي ، وشريف عسيران . وصدرت الارادة الملكية بهؤلاء الاعضاء في اليوم الرابع من كانون الثاني سنة ١٩٤٨ م[٥] .

وانتخب الاثري نائبا لرئيس المجمع في سنة ١٩٤٩ ، ونائبا أول في ١٩٥٥م ، وظل فيه حتى الان يعمل بجد ونشاط ، ويشترك في لجانه العلمية وفي اصدار المجلة ويناقش في المجلس ، وينير كثيرا من القضايا المعروضة برأيه الصائب ونظره الثاقب ، وهو منذ عام ١٩٣١م عضو مراسل في المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية بدمشق الان) وعضو مراسل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ ١٩٤٨ ، ثم عضو عامل فيه منذ عام ١٩٦١م ثم عضو في مجمع اللغة العربية الاردني في عام ١٩٨٠ وعضو في اكاديمية المملكة المغربية

---

(٤) قال الاثري في الاستخبار الذي نشره الدكتور مصطفى سويف في كتابه « الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة » ص ٢٢١ : « سميت ديواني الاول «ظلال الايام» وديواني الثاني «وراء حسك الحديد» لانني نظمته خلال السنوات الثلاث التي قضيتها معتقلا في معتقلات الفاو والعمارة وسامراء من ١٩٤١/١٠/٢٨ الى ١٩٤٤/٨/٢٧ » .

(٥) ينظر كتابنا حركة التعريب في العراق ص ١٥٩ .

منذ عام ١٩٨٠ أيضا ، وعضو في المجلس الاعلى الاستشاري للجامعة الاسلامية في المدينة المنورة منذ تأسيسها في عام ١٩٦١ الى تغيير نظامها في عام ١٩٧٥م وكان آخر منصب شغله الاثري هو المدير العام للاوقاف في عام ١٩٥٨ ، وهو الآن متقاعد يخطو الى التسعين بنشاط كبير ، وهمة عالية ، وقدرة على العمل المثمر البناء ، وقد كرم في عام ١٩٨٩م وحصل على جائزة صدام للانتـاج الأدبي الموسوعي كما كرم في عام ١٩٨٦ بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي ، كما حصـل على جوائز أخرى داخل القطر العراقي وخارجه تقديراً لما قدّم في سبيل خدمة الثقافة العربية الاسلامية ودفاعه عن العروبة والاسلام والقيم السامية ، ومنحته جامعة بغداد في عام ١٩٩٢ الدكتوراه الفخرية في اللغة العربية .

ألف الاثري كثيراً من الكتب منها :

١ ـ أعلام العراق ـ القاهرة .

٢ ـ المجمل في تاريخ الادب العربي ـ بغداد ١٩٢٧ .

٣ ـ المدخل في تاريخ الادب العربي ـ بغداد ١٩٣١م .

٤ ـ مهذب تأريخ مساجد بغداد وآثارها ـ بغداد ١٩٢٧م .

٥ ـ مأساة الشاعر وضاح اليمن ـ بغداد ١٩٣٥م .

٦ ـ الاتجاهـات الحديثة في الاسـلام (طبـع ببيروت في كتاب العـرب والحضارة) ١٩٥١م .

٧ ـ محمود شكري الالوسي وآراؤه اللغوية ـ القاهرة ١٩٥٨ .

٨ ـ الخطاط البغدادي ابن البواب .

٩ ـ ذرائع العصبيات العنصرية في اثارة الحـروب طبعه المجمـع العلمـي العراقي في سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .

١٠ ـ الرجز والراجز أبو النجم العجلي وأرجوزته (أم الرجز) نشر في مجلة المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق) .

١١ ـ نظرات فاحصة في قضايا نحوية ولغـوية وطـريقة تدويـن تأريـخ

الادب العربي ـ بغداد ١٩٩١م .
وهناك كتب أخرى مخطوطة منها :
١ ـ عبدالمحسن الكاظمي .
٢ ـ كتاب المحاضرات .
٣ ـ كتاب المقالات .
٤ ـ الرد على الشعوبية .
٥ ـ معجم الاقاليم .
٦ ـ معجم جغرافية الادريسي .
٧ ـ شرح مقامات الطيب ابن ماري البصري معاصر الحريري وبلديّه .
وحقق بعض الكتب وشرحها ونشرها منها :
١ ـ المختصر في مناقب بغداد لابن الجوزي ـ بغداد ١٣٤٢هـ .
٢ ـ الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر ـ طبع في القاهرة وبيروت .
٣ ـ أدب الكتّاب للصولي ـ القاهرة .
٤ ـ بلوغ الارب في أحوال العرب للالوسي القاهرة ـ ثلاث طبعات .
٥ ـ تأريخ نجد للالوسي طبع في القاهرة مرتين .
٦ ـ أرجوزة أبي نواس لابن جني طبعها مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٦م و ١٩٨٠م .
٧ ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ قسم شعراء العراق ـ للعماد الاصفهاني ،وقد طبع المجمع العلمي العراقي جزءين منه والتكملة وطبعت وزارة الثقافة والاعلام بقيته وهي أربعة أجزاء .
٨ ـ كتاب النحت للالوسي طبعه المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .
وله بحوث لغوية وأدبية نشرت في مجلات المجامع العربية ،
١ ـ ملاحم وأزهار ـ القاهرة ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م .

٢ ــ ديوان الاثري ــ الجزء الاول ــ بغداد ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .

٩ ــ كتاب الماء وما ورد في شربه من الآداب للالوسي . طبعته أكاديمية المملكة المغربية .

١٠ ــ كتاب عين الحياه في علم استنباط المياه لاحمد بن عبدالمنعم الدمنهوري ــ طبعته اكاديمية المملكة المغربية .

ولايزال ــ حفظه الله ــ يتحف المكتبة العربية بتحقيقاته ومؤلفاته وبحوثه ، وهو في كل ما اصدر ونشر ذو نزعة علمية ، يعرض المسائل ، ويناقشها ، ويبدي رأيه فيها .

(٢)

نظم الأثري الشعر وهو في العشرين من عمره ــ كما حدثني ــ[٦] أي بعد اتجاهه الى دراسة اللغة العربية وعلومها بعامين حينما كان يدرس على استاذه العلامة علي علاء الدين الالوسي . قال في ترجمة حياته المحفوظة في المجمع العلمي العراقي : « وفي أوائل اتصالي بالاول بدأت أقرض الشعر ، ثم في إبان قراءتي على الثاني نزعت نزوعا شديدا الى التأليف والبحث والتحقيق » .

ونشر كثيراً من القصائد في الصحف وأنشد بعضها في المحافل والاجتماعات والاذاعة في العراق وفي خارجه ، ثم جمع بعض شعره في ديوان سماه « ملاحم وازهار » وطبعه في القاهرة عام ١٩٧٤م في ست واربعمائة صفحة وقدم له الشاعر الكبير عزيز أباظة . والديوان في أبواب هي : ينابيع الفيض ، وملاحم، وأمة تتحرر ، وعناوين ومجد ، وعبرات الوفاء والاكبار ، وملامح وظلال ، وقوارير وعطر ، وطبائع ونوازع . وقرر المجمع العلمي العراقي طبع شعر الأثري كله فأصدر في عام ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م الجزء الاول في ثلاث واربعين

(٦) وذلك يوم الثلاثاء ١٨ كانون الاول ١٩٩٠م ــ ٣٠ جمادى الاولى ١٤١١هـ.

وخمسمائة صفحة ، ومعه مقدمة المرحوم عزيز أباظة وكلمة الدكتور عدنان الخطيب • وقد ضم بعض قصائد المجموعة الاولى وغيرها من القصائد الاخرى • والديوان في ثلاثة أبواب هي : ينابيع الفيض ، والفصحى والشعر، وأغاني الحرية وملاحم التحرر ، وفي كل باب أقسام فالأول ضم الالهيات ، والنبويات ، والأمة والوطن ، وحوى الثاني الفصحى والشعر ، وجمع الثالث أغاني الحرية ، وملاحم التحرر ، وفلسطين ، وسورية ، ولبنان ، ومصر ، والجزائر ، والعراق • وهذا تقسيم موضوعي يفتح الطريق للباحث ، وان كان لا يعطي صورة واضحة عن تطور شاعريته إلاّ بعد إعادة ترتيب القصائد زمنيا ، وهو أمر ليس بالسهل لان بعض القصائد غير مؤرخة ، ولكن موضوعاتها قد تحدد الزمن الذي قيلت فيه •

والأثري شاعر نهل من التراث العربي ماشاء الله له أن ينهل ، وهو يجمع بين جزالة القديم وأصالة الحديث الذي أحيا معالمه محمود سامي البارودي ورفع لواءه احمد شوقي وغيره من شعراء الثلث الاول من هذا القرن العشرين الميلادي • وللأثري رأي في الشعر اتخذه مَعْلَماً له في حياته الشعرية ، وقد أوضحه في قصيدته « الشعر كما أراه »(٧) فقال :

الشعْرُ ماروَّى النفوسَ معينُه ... وجرت برقراقِ الشعور عيونُه
وصفت كلألاءِ الضياءِ حروفُه ... وَزَهَتْ بوضّاء البيان متونُه
متألقُ القسماتِ فتّانُ الرؤى ... يزهو صبا الفصحى الطرير رصينُه
حرُّ المذاهبِ لا يشوب أصوله ... كَدَرٌ ولا واهي اللغات يشينُه

ويمضي في ايضاح الشعر الرائع ، وهو عنده أن يكون صادقا يروي النفوس ، ويهز المشاعر ، واضحا جليا يزهر بوضاء البيان ، متألقا فتانا لاتشوبه عجمة أو خروج عن الفصحى ، حرا يعبر عن الحقيقة بأجلى صورها،

(٧) الديوان ص ١٦٠ ، ملاحم وأزهار ص ٢٦٣ •

صادرا عن عبقرية فذة وموهبة عظيمة ، غردا ، بديع الايقاع ، معبرا عن الخلجات ومصورا للاحاسيس المختلفة . هذه بعض سمات الشعر عنده ، وهي سمات تجعله خالدا على الزمان :

يمضي وفي التأريخ باقٍ وَسْمُهُ ويظل وهو طريده ولعينه
يزكو ويخلد من سريّ حروفه مأمونه في صدقه وأمينه

ويفنى غير هذا الشعر لانه لا يحمل من سمات الشعر الصادق شيئا :

ويموت مخنوقُ الصدى من فوره مكذوبه ودعيّه وأفينه

ويحدد الشاعر خصائص الشعر الجديد فيقول :

أين الجديدُ البكْر ليس بضالع مشياً وليس بناصلٍ تلوينه
الواثب الروح الأصيل شعورُهُ وخياله ونزوعه ويقينه
تمتص من حر البيان عروقُه ويجلّه ايقاعه ويزينه
زاهٍ بأبكار التخيل ثوبُه لا عُوره تنتاشه أو عُونُه
يستنُّ سِحْرَ الحسن في أعطافه ويتيه منه رقيقُه ومتينه
وكأنما سُقي الرحيقَ معَلّلاً فتوردتْ وَجَناته وعيونُه

والشعر عنده هبة الاله ، ولايلقاه الا ذو حظ عظيم ، فليس كل من نظم قصيدة موزونة مقفاة شاعرا ، وانما الشعر ما نبع من موهبة الهية ، وغداة الشعور الصادق :

الشعر من وهج الشعور ونار أشواق الضمير
نَغَمٌ وإيقاع وعاطفة تموّج في الصدور
وتمازج الخلجات في القلب الملوّح والحسير
وبوارق الذهن اللموح شوادر الحسن الغرير(٨)

(٨) الديوان ص ١٧٢ .

والشعر للحياة ، وقد نظم في أيام صباه قصيدة (الشعر للحياة [٩]) عَبَّر فيها عن موقف الشعر من الحياة فهو ليس غناء بالماضي ، وبكاء على الاطلال ، والتشبث بالطرف الكحيل والخد الاسيل ، وانما هو ابتكار المعاني الحديثة وبث المبادىء الاجتماعية القومية ، والنضال من أجل إقامة حياة جديدة :

خذوا نَهْجَ الحياة به وسيروا   طلائعَ نهضةٍ وبناةَ جيلِ
الى العلياء أفقاً بعد أُفْقٍ   وعرش العز والمجد الأصيلِ

وأوضح في استخبار أجراه الدكتور مصطفى سويف حقيقة الشعر فقال : « الشعر عندي في مختلف مناحيه ومعانيه لايخرج عن حدود الانطباعات والانفعالات وثورة النفس . فأنا لاأقوله إلاّ اذا جاش صدري وتوافرت حوافزه ودواعيه في الرضا أو الغضب ، وفي الحب أو القلى ، وفي الضحك أو البكاء عفواً من غير التماس وطبعاً من غير تصنع ، أعني أنه اذا جاءني استجبت له في أي غرض من الاغراض ما دام الشعور الثائر المتوهج هو الذي يوجبه ويمليه ، والاّ تحاميته فلا أفكر فيه ولا يعنيني من أمره شيء حتى لكأنه ليس مني ولست منه ، أو ليس بيننا وشيجة من نسب تصلني به وتصله بي » . ثم يؤكد أن الشعر هو ما كان مبعثه الشعور الصادق الذي تمتلىء به النفس ويفيض به الطبع . ووصف ساعة الالهام الشعري فقال : « لا عادة لي أمارسها ساعة الكتابة إلاّ انتحاء المكان الخالي والسكون الشامل حتى لا أحس غير نأمة نفسي ،بل المكان الخالي والسكون الشامل طالما أوحيا اليّ فنوناً من القول لم يتيسر لي مثلها .» وقد تتيقظ الشاعرية عندي في الاماكن التي تكون فيها حركة وأصوات لذلك تراني في هذه الحالة أسرع في البحث عن مكان بعيد عن الحركة والجلبة

(٩) الديوان ص ١٧٣ .

لأنظم قصيدتي تحت تأثير تلك الانطباعات او الانفعالات قبل أن تفتر النفس وتضيع الفرصة » وقال :

« كيف لايشعر الشاعر الذي لايصدر كلامه الا من وحي إحساسه وهياج نفسه وفيض قريحته بوجود صلة بين أحداث حياته الواقعية وبين مايرد في قصائده من أحداث وصور . أنا أشعر أقوى الشعور بوجود هذه الصلة بين حياتي وبين قصائدي » . ثم قال : « أنا في عمل الشعر أجري مع تيار العاطفة التي تستولي عليّ والحالة التي توحي اليّ القول ، فأبدأ بالمطلع وأسلسل الكلام ، قلما أقدم أو أؤخر ، لا أفكر إلاّ في اطراد الشعور وانسجامه واستيفاء المعاني والاخيلة في نسق آخذ بعضه برقاب بعض . أما نهاية القصيدة فأكاد أراها واضحة قبل أن أبلغها وانهي القصيدة فعلا حيث كنت أقدر لها ، وقلما أفعل غير ذلك »(١٠) . فالشعر عنده عاطفة وشعور ، ولغة رصينة ، وعبارة متينة ، وصور قوية مؤثرة ، وايقاع يهز النفوس ويحرك الضمائر .

وهذه سمات شعر عصر النهضة الحديثة في الوطن العربي ، وهي سمات تأخذ من القديم أصولها ومن الحديث ألوانها ، وهي غير ما شهده النصف الثاني من هذا القرن ، إذ اقتبس الشعر خيوطه من الغرب ، وحاكها نسيجاً يختلف اختلافاً واضحا عما ألفه الشعر العربي القديم .

فالأثري متمسك بأصالة الشعر العربي وملتصق بأحداث المرحلة التي عاش فيها ، فهو قديم حديث ، قديم في بعض لغته وصوره ، وحديث في موضوعاته ومشاعره ، وهو يمثل مرحلة ما بعد شوقي أوضح تمثيل ، ويقف مع معاصريه وقفة تظهر دوره في حركة الشعر الحديث قبل أن تمتد الحداثة بمعناها الغربي الى الشعر العربي في العقود الثلاثة أو الاربعة الأخيرة فتنحو

(١٠) الاسس النفسية للابداع الفني في الشعرخاصة ص ٢١٨ ــ ٢٢١ .

به منحى بعيداً عن الشعر العربي القديم ، وتخرجه من سماته التي برزت في أمثلته الرائعة وما حققه الشعراء الكبار كالبحتري وأبي تمام والمتنبي والمعري في العصر القديم ، ومحمود سامي البارودي وحافظ ابراهيم وأحمد شوقي في العصر الحديث .

(٣)

شهد الاثري أواخر الحكم العثماني وعاش في ظل الانتداب البريطاني والعهدين الملكي والجمهوري ، وقد أكسبته حياته تجارب كثيرة ، فهو لم يعش بعيداً عن أحداث الوطن والأمة ، ولم يعكف على ذاته يتغنّى بأحزانه وهمومه كما فعل بعض الشعراء ، وانما خاض غمار الحياة ولقي منها كل عنت وشدة ، ووقف أمام الأحداث بصلابة فلم يهن ولم يخضع إلا لله وسلطان الحكمة والعقل . وانعكست مواقفه الصلبة في قصائده ، وكان شعره مرآة صادقة لحياته وموقفه من الأحداث التي مرّ بها العراق والأمة العربية منذ أن وعى ذاته ، وسعى الى تحقيقها بجد واخلاص ، لايرهبه عدو يتربص ، ولا حاكم يقيد ، ولا قوم يثبطون العزائم ويقتلون الهمم في النفوس . فشعره يصور حياته ونضاله ولاسيما ديوانه الاخير الذي نسقه تنسيقا موضوعيا يفصح عن مقاصده وأغراضه .

وقد ضمّ الباب الاول من الديوان قصائد « ينابيع الفيض » وهي ينابيع تفيض بكل معنى بديع ، وتعبّر عن كل شعور صادق رقيق . ويتضح في « الالهيات » انه مؤمن برب الكون كل الايمان ، فهو يناجيه ويسبح باسمه العظيم الذي غمر الكون بنوره فاذا هو مشرق تزهو فيه الحياة . ويتجه الى الله بقلبه الذي لم يسبّح الا باسمه ولم يرفّ شغافه بغيره :

قلبي بغيرك لم يَرِف شغافه … يارب فاجنب حبي الاخطارا
عن كل وجه قد صرفت عبادتي … وعبدت وجهك وحده مختارا (١١)

وايمانه برسالة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ عظيم ، فقد ولد النور يوم مولده ، وعمّ الكون كله ، وكان نبي الرحمة للعالمين ، وقد عاش في ظل رسالته العالم في أمن ودعة واطمئنان ، وبنى العرب والمسلمون بفضل دينه أرقى حضارة شهدتها الخليقة ، وكان خاتم رسل الله :

محمد نَضَّر الخلاّق سيرته … وزانه بجلال الشأن والعظم
والى النبيين قول الحق واختتمت … به الرسالات حقاً خير مختتم (١٢)

وكان ملاذا لكل من مسّ الايمانُ قلبه ، واهتدى بهديه ، واتبع رسالته والاثري كغيره من المؤمنين بمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ يلوذ به ، ويلجأ اليه ، ولا تطيب له الحياة الا بالاسلام :

يا من تجلّى على الدنيا سناً وشذاً … ورحمةً وهدًى للعرب والعجم
طابت بدينك دنيايَ التي حسنت … وراق طبعيَ في راووقه ودمي
فلا أسامر الا النبلَ في كلمي … ولا أراود في فعلي سوى الكرم
أجلو بنورك في فعلي وفي كلمي … مايعتري الحقَّ من ظُلْم ومن ظُلَم
كما سننت سأستنُّ الهدى رغباً … في الخير ماعشتُ عمري ثابتَ القدم (١٣)

والشاعر ، وهو العربي نسباً وايماناً ، يعتز بأمته كل الاعتزاز ويرتبط بها كل الارتباط ، لانها كيانه الذي يسعى بها وذاته التي تسمو ، وعزّها عزه وعلاها علاه :

---

(١١) الديوان ص ٥٣ ، ملاحم وازهار ص ٢٩ .
(١٢) الديوان ص ٨٥ ــ ٨٦ .
(١٣) الديوان ص ٨٨ .

أيـن لا أيـن أمـتي في العوالـم ... أمة العـز والعلـى والعزائم[14]

والوطن أغلى ماعند الانسان المؤمن بأرضه ، المعتز بترابها ولولا الوطن لضاع الانسان وأصبح طريدا في أرض الله الواسعة ، أو ذليلا تتمزق نفسه حسرات على ما فرط بحق وطنه ، ولا عجب اذا سكب الشاعر دمه في سبيل وطنه ، وضحى من أجله ، وبات في غياهب المعتقلات سنين عدداً بعد إخفاق ثورة أيار ١٩٤١ م :

منه دمـي ولـه ساسكبه ... حين النداء يرن صاخبه
حين الغريب يفر تاركه ... ووراءه تجري أكالبه
وهواي أن يحيا وسؤدده ... عال ولا عاد يغالبه[15]

لقد تغنّى الاثري بوطنه العراق وضحى من أجله وبارك حركات التحرر فيه ، وكان للجيش العراقي نصيب كبير في شعره ، ففي عام ١٩٣٣ تلقّى الشاعر وهو في مصطاف بحمدون بلبنان كتابا يحمل البشارة بظفر الجيش في شمالي العراق بالدخلاء المخربين الذين منّاهم الانكليز باقامة وطن قومي لهم . وهزته هذه البشرى واعتكف من فوره في غرفته ليعقد اكليلا يقدمه الى الجيش فكانت قصيدة « اكليل الى الجيش الظافر »[16] وفيها يقول :

انشروا الوردَ ونورَ الياسمين ... أقبَلَ الظافرُ وضّاحَ الجبين
وافرشوا الدرب الذي يسلكه ... قطعَ الديباج والخز الثمين
وضعوا الغار على مفرقه ... مجلس الشمس على هام السنين
احتفال الشعب في استقباله ... احتفال الحق بالنصر المبين

(١٤) الديوان ص ٩٤ .
(١٥) الديوان ص ١٠٥ .
(١٦) تنظر في الديوان ص ٣٦٥ ، وملاحم وأزهار ص ٦٧ .

ووقع انقلاب التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٣٦م وطوّح بوزارة ياسين الهاشمي الوطنية ، ولم يدم الانقلاب طويلا إذ قُتل قائده في الحادي عشر من آب ١٩٣٧ م وكان الشاعر في دمشق فجاشت قريحته فألهمته « ملحمة الانقلاب الشعوبي »(١٧) التي كانت صرخة مدوية بوجه الارهاب ، ودموعاً حارة سكبها على روح الزعيم ياسين الهاشمي الذي ظل اسمه رمزاً للوطنية والثورة على الاستعمار واذنابه ، والدعوة الى الوحدة العربية :

يا ناشدَ الوحدة الكبرى يعبئها   حلفاً لحلف وأقطاراً لأقطارِ
زكا غراسك واخضرّت خمائله   حسن المرائي الى إيناع أثمارِ
تجاوبَتْ في نواحيها عنادلها   سجعاً بسجع وأشعاراً بأشعارِ

وحُرم رفات الهاشمي من أن يدفن في وطنه الذي عمل من أجله بصدق واخلاص ، ولكن رفاته حظي بمجاورة قبر السلطان المجاهد العظيم صلاح الدين الأيوبي :

لئن حُرِمْتَ ثرى بغداد تنزله   وما كمثل ثراها طيب أبشارِ
لقد نزلت ثرى أهلٍ ذوي رَحِمٍ   كرفرف الخلد لم يَدْنس بأوطارِ
زاكٍ ثوى السمحاءُ الطاهرون به   من كل خَيِّرِ قومٍ وابنِ أخيارِ
من نازليه صلاحُ الدين أيّ فتى   صان الحمى من صليبيين ختارِ

وقام الجيش والشعب بثورة أيار ١٩٤١ م ووقف الشاعر يندد بالمستعمرين وأذنابهم ويؤيد الثورة ويباركها ، ويصور بطولة الجيش الذي لم يسكت على الضيم فثار ثورته المباركة :

غمزوا إباءك فاضطرمت اباءا   وحشدت جوك والثرى والماءا

---

(١٧) الديوان ص ٣٧٢ ، ملاحم وأزهار ص ٧٣ .

راموك للـذلّ المقيـم وقـد مضى … دهر تُسام به الشعوب سـباءا[18]

وانتكست الثورة وتفرق قادتها وأعـدم بعضهـم ، وشرد الوطنيون أو اعتقلوا وكان نصيب الشاعر أن يقضي ثلاث سنوات في معتقلات الفاو وسامراء والعمارة ، وأن ينظم كثيرا من القصائد يتحدث فيها عن النكسـة والخونـة وأذناب الاستعمار ، ويندد بالارهاب الذي عَمّ العراق بعد اخفاق الثورة . ولم ترهبه المعتقلات وظل صلب العود قويا لايهاب السلطة ولا ليالي المعتقل الباردة المظلمة أو الحارة الرطبة وهو النحيف الذي يؤذيـه البرد والجـو الرطب ، يقول في قصيدة « مرحباً بالنفي »[19] :

مبلغى نعيي الى الفـاوِ الشطـيرِ … مرحبـاً بالنفي والسـجن الضريرِ
شـرفٌ أوضـاحه لمـح السـنا … ونواميـه أفـاويه العبـيرِ
ووسـامٌ يتمنـاه الضحـى … وصـدورٌ من ملـوك وصـدورِ
مطمـح الثـائر آفـاق السـما … وكـذا مطمـح رواد النسـورِ
أتـراه إنْ هـوى يضرعـه … نبأُ السـجن وايغـالُ المسـيرِ
في سـبيل اللـه مـا ألقـاه من … عَنَتِ الجور ، وفي المجدِ الخطيرِ

لقد اعتقل الشاعر ولم يحمل السلاح ، ولكنه أيد الثورة بقلبه ولسانه ، اذ كان شعره حمما يقذفها على الحكام الجائرين وعبيد الاستعمار ، وهو شعر صادق لايشوبه نفاق أو رجاء من لايستحق أن يرجى ، إنه شعر من أجـل الأمة والوطن ، والحرية والاستقلال :

كان شـعري في مـآسي أمـتي … عن أمـانيّ رسـولي وسـفيري
بـين أيديهـا تغـنّى وغـدا … بلسـم الجرح ومسـلاة الصدورِ

---

(١٨) الديوان ص ٣٩١ ، ملاحم وازهار ص ٨٤ .
(١٩) الديوان ص ٤١٦ ، ملاحم وازهار ص ٩٣ .

وثأر الجيش لقادته الذين أعدموا ، ومقاتليه الذين أوذوا ، فقام بثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، وفرح الشاعر وتغنى بهذه الثورة ونظم نشيد « صباح الامل المنشود أو نشيد ١٤ تموز ١٩٥٨م »[٢٠] ومقطوعة « يا عيد تموز »[٢١] .

وظل الجيش العراقي يحمي الوطن ، ويصون القيم العليا ، وبقي أمل الاحرار في كل حين ، ففي أيلول ١٩٨٠ شنت ايران حربا ظالمة على العراق ، ووقف الجيش يصد العدوان ، ويدفع الأذى ، ويصون البلاد . وتغنّى الشعراء ببطولته ، ووصفوا المعارك الحاسمة التي خاضها وخرج منها مظفرا منصورا . وقد أسهم الأثري في المعركة من فوره بقصائده المتدفقة كتدفق القذائف على الاعداء ، ونظم عدة قصائد عبرت عن اقتدار الجيش العراقي على صد العدوان واحراز النصر ، ومجدت البطولة والبذل والفداء . وكان سباقا الى المشاركة في المعركة بقصائده ، وقد اذيعت قصيدته « القادسية الجديدة »[٢٢] من دار الاذاعة العراقية في التاسع والعشرين من أيلول ١٩٨٠م ولعلها كانت أسبق قصائد الشعراء في هذه الحرب ، وغنّى للجيش في أعوامه الثمانية التي خاضها لردع العدوان ، فكانت قصيدة « جيش العراق الشامخ في عام القادسية السابع »[٢٣] وقصيدة « ملحمة شهداء القادسية الجديدة »[٢٤] وقصيدة « الى جيش العراق العظيم »[٢٥] الذي حرر الفاو في غرة شهر رمضان المبارك ١٤٠٨هـ الموافق للسابع عشر من نيسان ١٩٨٨م ، وأنزل القارعة الصاخة على رؤوس البغاة المعتدين وجاءت قصيدته الاخيرة « معلقة

(٢٠) تنظر في الديوان ص ٤٦٠ ، ملاحم وأزهار ص ١١٦ .
(٢١) تنظر في الديوان ص ٤٦٣ .
(٢٢) تنظر في الديوان ص ٤٧٥ .
(٢٣) تنظر في الديوان ص ٤٨٨ .
(٢٤) تنظر في الديوان ص ٤٩٣ .
(٢٥) تنظر في الديوان ص ٤٨٦ .

النصر العزيز والفتح المبين »(٢٦) غناءً بالنصر العظيم والسلم الصادق الذي عم العراق بعد أن ألقى العدو يد السلم صاغراً ذليلا في الثامن من آب ١٩٨٨م، وقد هتف الشاعر في هذه القصيدة مُحيياً شعب العراق العظيم ، ومباركاً لجيشه نصره الكبير :

عِشْ ظافراً ولك العلياءُ والقيمُ ... وانت بين الشعوب المفرد العَلَمُ
عالٍ على الأرض والأعداءُ خافضةٌ ... باقٍ على الدهر والعادون قد هُزموا
والعزُّ عزكَ مرهوباً ومحتشماً ... والنصْرُ نصركَ معقوداً به السَّلَمُ

لقد عاش الشاعر في خضم الحياة ، وأسهم في نضال العراق ، وكانت له قصائد جياد في قضايا الوطن ولم ينسه العراقُ وطنَه الكبير ، فهو شاعر عربي يؤمن بالوحدة العربية ويدعو الى تحقيقها لتصون الامة من عبث الحكام المتسلطين ودسائس الاستعمار والطامعين وكم تمنىّ أن يرى الوحدة العربية تجمع شمل الاقطار المتفرقة لتكون قوة يهابها أعداء الله والانسانية :

يا نعم عينيَ لو أحيا الى أمدٍ ... يريني الوحدةَ الكبرى وما تلدُ
فأشهدُ العلم الخفاقَ مزدهياً ... يعانق الافق منه مشهدٌ وَحَدُ
وأبصر الشمل والعلياءَ تحضنه ... وعزّه وهو موهوبُ السطا صعدُ
والارض قد عمرت والسن قد ضحكت ... والخير قد فاض والأملاء قد سعدوا
يا يوميَ الحاضر الماضي ألاعِدَةٌ ... بطيّبٍ إنّ عيدي أن يطيب غدُ(٢٧)

والوطن العربي كله أرضه وبلاده :

وطني بلاد الضاد حيث هفا به ... نُطْقٌ ، وبغداد العلى ميلادي
إنـي أوقع صك تفديتي لها ... بدم وآنف خطه بمدادِ(٢٨)

(٢٦) تنظر في الديوان ص ٥٠٧ .
(٢٧) الديوان ص ١٥٩ .
(٢٨) الديوان ص ٢١٦ ، ملاحم وأزهار ص ١٢٧ .

ويربط بين العروبة والاسلام لانهما لا ينفصلان ، فقد أعز الله ـ سبحانه وتعالى ـ العرب بالاسلام وكلف العرب حمل رسالة السماء ، فكان العرب والمسلمون أخوة مؤمنين متضامنين :

ألآفا سلكوها وحدةً عربيةً لها من هدى الأسلام روحٌ ومظهرُ(٢٩)

وليس هناك شعوب عربية ولكن أمة عربية واحدة ، وَحَّدها الله حينما بعث محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ هادياً وبشيراً :

يكذب المرجفون ماثم الا أمة وحّدت هوى وسبيلا(٣٠)

وكانت أقطار العروبة كلها وطنه ، وقد غنى لفلسطين ، وسورية ، ولبنان ، ومصر ، والجزائر والمغرب والجزيرة العربية ، وسكب حبه على هذه الاقطار وهي في حربها وفي سلمها ، وكان عاشقا لها يتغنّى بجمالها وربيعها ويشيد ببطولاتها ومواقفها القومية وصراعها مع الغزاة المحتلين . ويتجلّى في قصائده التي غنى بها للاقطار العربية وصفه البديع لها وهيامه بجمال طبيعتها وسحرها الأخاذ ومفاتنها الساحرة ، يقول في دمشق :

أي المفاتن في دارِ النعيم خلت منها مشقُ وأي الربرب العينِ
خميلة الله ما اهتز الثرى طرباً بمثل ما طاف فيها من تزايينِ
كلّ ضحوك على ضاحي مشارفها زهر السماء وأزهار البساتينِ
كأنما الجو إذ يندى بها عبقاً لطيمة نثرت من عطر دارينِ(٣١)

ويقول في مصر :

شهد الله أنّ في مصر سِحْراً بابليّ الفتون يسبي العقولا

(٢٩) الديوان ص ٣٠٢ ، ملاحم وأزهار ١٩١ .
(٣٠) الديوان ص ٣٣٦ ، ملاحم وأزهار ص ١٨٩ .
(٣١) الديوان ص ٣٠٦ ، ملاحم وأزهار ١٩٤ .

رُبَّ مستوفز دعته فأنسته ... هواه ونفسه والرحيلا
أخت بغداد روعةً ورواءً ... وأديماً ووادياً ومسيلا
قِفْ على النيل وقفةً تتنورْ ... في محياه دجلةً والنخيلا
ومروجاً كاللازورد تلالا ... فوقها الشمسُ بكرةً وأصيلا
وقصورا لوامعا كالدراري ... يرجع الطرف عن ذراها كليلا
والدوالي في هدأة الفجر تزجي ... من صباباتها الحنينَ الرسيلا
والسواقي هوامساً يتناغين ... كصبٍّ يحاول التقبيلا
وخفاف الزوارق البيض تجري ... صُعُداً تارةً وأخرى نزولا
تتعالى ألحانها وهي أحلى ... من عتاب الخليل ناجى الخليلا(٣٢)

واللغة العربية من أهم مقومات الوحدة التي آمن بها الشاعر ، فهي « سيدة اللغات » وهي « لغة مدت الظلال على الارض » وهي « لغة القرآن » وهي « اللغة المهندسة المنغمة » وهي « رباط الوحدة الكبرى »(٣٣) وقد أحبها حب نفسه :

أحببتها حبَّ نفسي والهوى غَرِدُ ... وحبُّها الروحُ والريحانُ والرغدُ
وضيئة شاق زهو الورد زاهرها ... والورد أنفسُ ما يشتاقه الخلدُ
رفيعة القدر أخت الشمس عالية ... يُرى لها فوق عرش الشمس مقتعد(٣٤)

وكان للوجدان نصيب في شعر الاثري ، وقد بث مشاعره وعواطفه الوطنية والقومية والانسانية في القصائد السياسية والاجتماعية ، وفي القصائد التي عبر فيها عن مواقفه . وهناك قصائد كثيرة ضمها «الديوان» و« ملاحم »

---

(٣٢) الديوان ص ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ، ملاحم وأزهار ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .
(٣٣) تنظر هذه القصائد في الديوان ص ٢١ وما بعدها ، ملاحم وأزهار ص ٢٥٩ .
(٣٤) الديوان ص ١٥١ .

وأزهار» تفـردت بالتعبير عن هذه النزعـة التي هي أساس كل شعر صادق اصيل . ومن ذلك قصائده التي نظمها بعد اخفاق ثورة أيار ١٩٤١ م أو نظمها في المعتقل مثل قصائد « نجوى الحرية » و « وصال الحرية » و«بعد النكسة» و « من أسباب النكسة » « سوء المنقلب » و « مرحبا بالنفي » و « هتاف العزة من أعماق السجن في المنفى السحيق » و « مأساة ديك الفاو » و « أنا والعلى ومطامح التشييـد » و « وعيـد القاسطين » و « العبيد وسادة العبيد » و « صور من عهود القاسطين » و « أريد حياتهم ويريدون قتلي » و« ليـالي المعتقلات » و « عهد وايمان » و « ياوطني » و « وسأغني وأغني »(٣٥) وهي قصائد تمتزج فيها الذاتيـة والعاطفـة بهموم الوطن والامة . وهناك قصائد خلصت للذات والوجدان وتملي محاسن الطبيعة وما أبدع الله من جمـال، وما أودع في القلوب من حب يسمو على الشهوات ، وما أعظم الحب الطاهر حينما يكون لقباً يحيا به العشاق :

حيّـه من شـاعر في الغابـرين عاش حيـاً في قلـوب العاشـقين
شـاعر الحب ومـا أعظمـه لقبـاً يحيـا بـه في الخـالديـن
شـاعر الحـب وما الدنيـا سوى نغـم الحب وشـعر المغـرمين(٣٦)

وما أرق الشاعر حينما يهزه الجمال هزا ، ويأخذ عليه مسالكه :

واني ولـوع بزاهـي الجمـال ومعنـاه في الصـور الـراقيـه
رأيـت كثـيراً ومـا شـاقني كمعنـى الجمـال بأوطـانيه(٣٧)

(٣٥) ينظر الديوان ص ١٨٢ ، ١٨٦ ، ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٦ ، ٤٢١، ٤٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ١٠٩ ، ٤٥٦ ، ١٠٦، ١٠٩ ، ملاحم وازهار ص ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٤ .
(٣٦) ملاحم وازهار ص ٢٠٥ .
(٣٧) ملاحم وازهار ص ٢٩٤ .

ويرى الشاعر « أندلسية في قصر الحمراء »(٣٨) فيهفو قلبه ، ويتحرك لسانه ، ويخط قلمه ، فاذا بالقصيدة تنبض بالحياة ، معبرة عن شوق عظيم الى الحب والجمال ، واعتزاز كبير بالعرب والمسلمين وماتركوا في ربوع الاندلس من آثار حية تنطق بمجد العرب ، وتذكر بالماضي المشرف الزاهي :

وافتْ نشاقت سالياً فاضطرم ... وبات من شجو الهوى لم ينمْ
حسناء تزهو مثلَ رأْدِ الضحى ... ما أضوأَ الحسْنَ بها ما أتمْ
ممشوقة هيفاء مجدولة ... جدل العنان حلوة المبتسمْ
انسانةٌ مذ لامست ناظري ... أنسيت غزلانَ الفلا والعجمْ
لقيتها والشمس رَأْدَ الضحى ... تغاير الشمس بنور أتمْ
في غرفِ الحمراءِ طافت معي ... وسحرها ينقلني لا القدمْ
طافت معي تنفث سِحْرَ النهى ... كطيب معسول لماها كلمْ
تذكي بي الشجو ولولا الهوى ... يمسكني ذاب فؤادي سَدَمْ
بالقلب ما تنفثُ لي سامعٌ ... بالروح ما تنشر لي التهم
حيران ما بين دواعي الهوى ... وروعة من حولنا مقتسمْ
لحظ الى الحمراء بي شاخص ... وآخر بناظريها انخطمْ
هام النهى بين الأسا والهوى ... وما الأسا والحب إلاّ قسمْ
سحر على سحر فليت الهوى ... دام وليت الوصل لم ينصرمْ
وليت برقاً خاطفاً مَرَّ بي ... عاود موصول السنا وانسجمْ
خفت عن الحمراء عمارها ... فهل لزور عابر لا يهمْ
أودعتُ إذْ ودّعتها خافقي ... فوق ثراها وافيا بالذممْ
شَطْرٌ لحسناء رَعَتْ ذمةً ... حباً وشَطْرٌ للتراث الأشمْ

(٣٨) ملاحم وأزهار ص ٣٠٥ .

ومثل هذا النبض الوجداني كثير في شعر الأثري ، ومنه قصائد الرثـاء التي عبر فيها عن حبه ووفائه للراحلين كأبيه ، والطيـارين ، والشـهيد عمر المختار ، وأحمد تيمور ، وأحمد شوقي ، وشكيب أرسلان[٣٩] . وهذا يـدل على أن الانسا نيحيا بقلبه وعقله لا بعقله وحده ، والشـاعر انسـان رقيق حسـاس ، يثيره الجمال ، ويهزه السحر ، وتصبيه العيـون الفواتن والقدود المائسة ، وماكان الشيخ الأثري بعيدا عن هذا كلـه وهو الذي ألهم الشـعر الهاما ، وأرسله صادق النبضات رقيقاً في مواقف الشوق والجمال ، عنيفـاً في مواقف البأس والشدة ، وقد ضمت قصائده هذين اللونين فكان شـاعرا مجيدا اهتزت لشعره المنابر ، وهتفت به العنـادل .

(٤)

ولغة شعر الأثري عربية أصيلة استقاها من فصيح الكلام وبليغه وعلى رأسه كتاب الله العزيز ، فهو متأثر بألفاظه ومعانيه وصـوره ، مقتبس منـه اقتباساً يدل على اعتزازه بكلام الله وايمانه العميق به ، وقد سمَّى العربيـة « لغة القرآن » أو « سيدة اللغـات » :

تنـزَّلَ قـرآنٌ بهـا ما تلوتـه	صحـوتُ على معنى أغرَّ عظيـمِ
تكـرم بالوحـي الامـين مبينـه	وعـز بمعطـاء الحيـاة كـريمِ
تمـلأ منـه بالـرواء محمـد	وآتـى بـه الدنيـا أريـج شميمِ
سرى يفغم الآفـاق مسكاً وعنبراً	ويُحيي من الارواح كلَّ رميمِ [٤٠]

ومن المعاني القرآنية وصوره :

يرمـى بـه باطـلا منه فيدمغـه	يا طالما دفـع الحـقُّ الاباطيلا[٤١]

(٣٩) ينظر ملاحم وازهار ص ٢٢٥ ـ ٢٥٦ .
(٤٠) الديوان ص ١٢٢ ، ملاحم وازهار ص ٢٦٠ .
(٤١) الديوان ص ٢٤٠ ،ملاحم وأزهار ص ١٦٦ .

وهو من قوله تعالى : « بل نَقْذِفُ بالحقِّ على الباطل فيدمغه ، فاذا هو زاهق »[٤٢] .

ويروي النذر الكبرى بيوم الفزع الاكبر[٤٣]

وهو يومىء الى قوله تعالى : « لايحزنهم الفزعُ الاكبر »[٤٤] .

وإنني عربي غير ذي عِوَجٍ لي بين قومي مكان الشامخ العلم[٤٥]

وهو يشير الى قوله تعالى : « قرآناً عربياً غير ذي عِوَجٍ لعلهم يتقون »[٤٦] .

صعق العملاق أبناء الصلف ودهى من حيث لم يحتسبوا[٤٧]

وهو من قوله تعالى : « فأتاهم الله من حَيثُ لم يحتسبوا »[٤٨] .

فأتى من حيث لا يحتسبون وكذا يأخذ ذا البغي الاثيم
وبأيديهم وأيدي المؤمنين أصبحت حين تنادوا كالصريم[٤٩]

والبيت الاول قريب من الآية السابقة ، والبيت الثاني يشير الى قوله تعالى : « فأصبحت كالصريم ٭ فتنادَوا مُصْحِين »[٥٠] .

(٤٢) سورة الانبياء ، الآية ١٨ .
(٤٣) الديوان ص ٢٥٨ ، ملاحم وازهار ص ١٧٧ .
(٤٤) سورة الانبياء ، الآية ١٠٣ .
(٤٥) الديوان ص ٢٦٨ .
(٤٦) سورة الزمر ، الآية ٢٨ .
(٤٧) الديوان ص ٢٧٢ .
(٤٨) سورة الحشر ، الآية ٣٠ .
(٤٩) الديوان ص ٢٧٥ .
(٥٠) سورة القلم ، الآيتان ٢٠ ــ ٢١ .

ويرى الأسوة ذِكْراً حسناً والمثالَ المحتذى للمؤتسي[٥١]

وهو قريب من قوله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أُسْوةٌ حسنة »[٥٢] وقوله : « قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه »[٥٣] وقوله : « لقد كان لكم فيهم أسوةٌ حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر »[٥٤] .

وركدنا فرجعنا القهقرى « ليس للانسان إلاّ ما سعى »[٥٥]

وهو اقتباس من قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى »[٥٦] .

فاذا أراد ارادة قُضيت كلمح بالبصر[٥٧]

وهو اشارة الى قوله تعالى : «وما أمرُنا إلا واحدة كلمح بالبصر»[٥٨] .

أين الزعامة والتقوى ذلك كل خوانٍ أشر[٥٩]

وفيه تلميح الى قوله تعالى « أ ألقى الذكر عليه من بيننا ، بل هو كذاب أشر . سيعلمون غداً من الكذّاب الاشر »[٦٠] .

---

(٥١) الديوان ص ٢٨٢ .
(٥٢) سورة الاحزاب ، الآية ٢١ .
(٥٣) سورة الممتحنة ، الآية ٤ .
(٥٤) سورة الممتحنة ، الآية ٦ .
(٥٥) الديوان ص ٣٤٤ .
(٥٦) سورة النجم ، الآية ٣٩
(٥٧) الديوان ص ٣٥١ ، ملاحم وازهار ص ٥١ .
(٥٨) سورة القمر ، الآية ٥٠ .
(٥٩) الديوان ص ٣٥٣ ، ملاحم وازهار ص ٥٣ .
(٦٠) سورة القمر ، الآيتان ٢٥ ـ ٢٦ .

نشقى وهم يتمتعون أليس ذا إحدى الكبر[٦١]

وهو إشارة الى قوله تعالى : « انها لاحدى الكبر » [٦٢]

لا تحسبن الله مُخَالِفَ وَعْدِهِ رُسُلاً وتاركَ أخذه بوعيد[٦٣]

وفيه إشارة الى قوله تعالى : « فلا تَحْسَبَنَّ الله مُخْلِفَ وعْدِهِ رسلَه » [٦٤]

إنَّ ربي نور السماوات والأرض يضيء القلوب والأحداقا [٦٥]

وفيه إشارة الى قوله تعالى : « الله نور السماوات والارض » [٦٦]

ومن يعلق له بالله حَبْلٌ يجئه النصرُ وهو عليه وقْفُ[٦٧]

وفي الشطر الاول اشارة الى قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »[٦٨] •

أن هذه النفحات القرآنية أضفت جمالا وقوة ووضوحاً على شعر الأثري ، وجعلته يزهو بفصاحته ، ويسمو ببلاغته وبيانه • ولا عجب في ذلك فالشاعر مؤمن بكتاب الله ونبوة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ كل الايمان ، وقد نبعت ثقافته الاصيلة من نور القرآن ورسالة السماء ، وكان له دور كبير في حركة نشر الثقافة العربية الاسلامية ، والحفاظ على سلامة العربية التي هي لغة القرآن الكريم •

وتظهر جزالة شعره ارتباطه بالشعر العربي الاصيل ، فقد أحب التراث

(٦١) الديوان ص ٣٥٤ ، ملاحم وأزهار ص ٥٤ •
(٦٢) سورة المدثر الآية ٣٥ •
(٦٣) الديوان ص ٤٤٠ ، ملاحم وأزهار ص ١١٠ •
(٦٤) سورة ابراهيم ، الآية ٤٧ •
(٦٥) الديوان ص ٤٦٧ •
(٦٦) سورة النور ، الآية ٣٥ •
(٦٧) الديوان ص ٤٩٢ •
(٦٨) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ •

حباً جماً وذاد عنه وحماه ، ونشر بعضه ، ولكنه لم يستسلم للقديم وانما دعا الى التجديد ، والى أن يعيش الشاعر في مجتمعه ليكون عضوا نافعا ، فالشعر للحياة ، وليس للوقوف على الاطلال والبكاء على الماضي والهرب من الحياة ، انه ابتكار للمعاني الجديدة ، وبث للمبادىء الاجتماعية القويمة.وعلى الرغم من أصالة شعر الاثري فانه لايخلو من الاشارة الى شعر قديم او حديث ومن ذلك :

غدا الوحيُ في أرجائها متنزلا   عليه وجبريل يروح ويغتدي(٦٩)

وفيه اشارة الى قول احمد شوقي :

والآي تترى والخوارقُ جمةٌ   جبريل رَوّاحٌ بها غدّاءُ

ومنه :

كلما لاح بارقٌ في سماءٍ   أتبعوا سيره العيون الشوائم(٧١)

وفيه اشارة الى قول بشارة الخوري :

أفحتم عليّ إرسالُ دمعي   كلما لاح بارقٌ في محيا(٧٢)

ومنه :

قد شكرت السحابَ جاد نداه   كل أرض ولم يخصّ ويبخل(٧٣)

---

(٦٩) الديوان ص ٦٨ ، ملاحم وازهار ص ٣٢ .
(٧٠) الشوقيات ج١ ص ٢٢ .
(٧١) الديوان ص ٩٧ .
(٧٢) الهوى والشباب ص ٣٣ ، شعر الاخطل الصغير ص ١٤٣ .
(٧٣) الديوان ص ١٠١ .

ومنـــه :

لا خَصَّـني غيـث" بنـــاطفة   لم تنتظـم وطـني حوالبـه[٧٤]

وهما اشارة الى قول أبي العلاء المعري :

فلا هطلـت عــليَّ ولا بــأرضي   سحائب ليس تنتظـم البــلادا[٧٥]

ومنـــه :

شَهِـدَ الله لم تغـب عن ضميري   عند نأيي ولم تفـارق عيــاني[٧٦]

وفيه اشارة الى قول شوقي :

شَهِـدَ الله لم يغب عن جفـوني   شَخْصُه ساعةً ولم يخل حسي[٧٧]

ومنـــه :

مُلْكنا مُلْـكُ عــزةٍ وجـلالٍ   من عراقِ العلى الى تطــوانِ[٧٨]

وفيه اشارة الى قول عُبيد الله بن قيس الرقيات :

مُلْكه مُلْـكُ قــوةٍ ليس فيــه   جَبَرَوت" ولا بــه كبريــاءُ[٧٩]

ومنـــه :

---

(٧٤) الديوان ص ١٠٥ .
(٧٥) شروح سقط الزند ــ القسم الثاني ص ٤٦٥ .
(٧٦) الديوان ص ١٢٥ .
(٧٧) الشوقيات ج٢ ص ٥٥ .
(٧٨) الديوان ص ١٢٧ .
(٧٩) ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ص ٩١ .

يا دين قلبيَ منها والهوى قَـدَرٌ   وخافقي ببهاءِ الحسن متحدُ(٨٠)

و« الهوى قدر » عبارة شعرية جاءت في قول شوقي :

يا لائمي في هواه والهوى قَـدَرٌ   لو شفّك الوجد لم تعذل ولم تلُمِ(٨١)

ومنـه :

أيهـا المبعـوثُ بالأمـر العظيـم   جلّ باري النـور ماذا أطلعـا(٨٢)

وهو قريب من البيت القديم :

أيُّهــا المبعــوث فينــا   جئــت بالأمــر المطــاع

ومنـه :

يستنهضُ الوادي على دخّـاله   من كل أصهب راتع في الوادي(٨٣)

وفيه اشارة الى قول شوقي :

ركزوا رفـاتك في الرمـال لـواءا   يستنهض الوادي صباحَ مساءا(٨٤)

ومنـه :

لننصب الحـرب حتى يستقادَ لنا   فطالما كشفت بالحـرب غمـاءُ(٨٥)

وفيه اشارة الى قول الاخطل :

---

(٨٠) الديوان ص ١٥٤ .
(٨١) الشوقيات ج١ ص ٢٤٠ .
(٨٢) الديوان ص ٢٠٦ ، ملاحم وازهار ص ١٥٩ .
(٨٣) الديوان ص ٢١٥ ، ملاحم وازهار ص ١٢٦ .
(٨٤) الشوقيات ج٣ ص ١٧ . علق الاستاذ الاثري على ذلك بقوله « القصيدتان قيلتا في وقت واحد ولم اكن قد اطلعت على قصيدة شوقي » .
(٨٥) الديوان ص ٢٢٧ ، ملاحم وازهار ص ١٤٨ .

شُمْسُ العداوة حتى يستقادَ لهم   وأعظم الناس أحلاما اذا قدروا[٨٦]

ومنـــه :

اذا أجمل البرقُ الخفوقُ حديثَها   فلي من وراء الغيب ِفي شرحه خبر[٨٧]

وفيه اشارة الى قول شوقي :

لحاهـــا الله أنبـــاءً توالـــتْ   على سَمْعِ الوليّ بمـا يشـقّ
يُفصّلهـا الى الدنيـا بريـــدٌ   ويُجْملها الى الآفاقِ بَـرقُ[٨٨]

ومنـــه :

وَمَـــنْ طلب استقلاله بلسانه   كمن خَطَبَ الحسنا وماعنده مهر[٨٩]

وهو بخلاف قولهم : « ومن خطب الحسناء أغلى لها المهرا » .

ومنـــه :

أجمعـوا أمـرهم فمـا تَـمَّ إلاّ   ما يسرُّ العلـى ويُرضي القبيلا[٩٠]

و « أجمعوا أمرهم » يشير الى بيت الحارث بن حلزة :

---

(٨٦) ديوان الاخطل ص ١٠٤ . قال الاثري : « هذا تعبير عربي لغوي يجري على كل لسان وكل أديب له بالفصاحة صلة » .

(٨٧) الديوان ص ٢٩٧ .

(٨٨) الشوقيات ج٢ ص ٨٩ . قال الاثري : « مختلفان لغة ومذهبا » .

(٨٩) الديوان ٢٩٨ .

(٩٠) الديوان ص ٣٣٢ ، ملاحم وازهار ص ١٨٧ .

أجمعوا أمرهم بليلٍ فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاءُ[٩١]

ومنه :

اني ابتليتُ بدجالينَ قد جمعوا خُلْقَ الثعالي وأفعالُ السراجينَ[٩٢]

والعبارة الاولى من البيت تذكر بقول المتنبي :

إني نزلْتُ بكذابينَ ضيفُهم عن القِرى وعن الترحال محدودُ[٩٣]

وقول الرصافي :

إني ابتليتُ بقومٍ يبعرون على أعقابهم واذا عَنَّفْتهم ثلطوا[٩٤]

ومنه :

يصلح الأمر بالسراة ولا يصلح بالساقطين والناس فوضى[٩٥]

وفيه اشارة الى قول الافوه الاودي :

لا يصلح الناسُ فوضى لاسراةَ لهم ولا سراةَ اذا جهالهم سادوا[٩٦]

ومنه :

وللشرف الرفيع سنا وطهراً ودون مساسه حَتْفٌ وخَسْفُ

(٩١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٤٥٢ وقد روى : اجمعوا امرهم عشاء . قال الاثري : « تعبير لغوي يجري على السنة الادباء عامة».

(٩٢) الديوان ص ٤٠٩ .

(٩٣) ديوان المتنبي ج٢ ص ٤١ . قال الاثري : « لاعلاقة لهذا بكلام المتنبي ».

(٩٤) ديوان الرصافي ص ٤٠٦ .

(٩٥) الديوان ص ٤٧٣ .

(٩٦) ديوان الأفوة الأودي (الطرائف الادبية ص ١٠) .

وللحرية الزهراء تُزهى   بزهرتها الحياةُ وتُستشفُ[97]

وفي البيت الاول اشارة الى قول المتنبي :

لا يسلم الشرفُ الرفيعُ من الأذى   حتى يُراق على جوانبه الدمُ[98]

وفي الثاني اشارة الى قول شوقي :

وللحريةِ الحمراءِ بابٌ   بكل يدٍ مضرجةٍ يُدقُّ[99]

وهناك أشطر مضمنة وضعها الشاعر بين قوسين[100] ؛ لانه لم يتصرف بها كما تصرف في تأثره غير الملموس بالمعاني والصور الأخرى .

وجاءت هذه الملامح والاشارات من حفظ الشاعر لآيات الذكر الحكيم ، والشعر العربي الرفيع ، وتعمقه في دراسته . وقد تكون المعاني والصور الشعرية توارد خواطر ، فكثيرا مايتفق الشاعران في عبارة أو بيت من غير أن يعرف أحدهما كلام الاخر أو يطلع عليه ، وفي كتب الأدب العربي ونقده بعض الاخبار التي تروي الاتفاق بين شاعرين أو أكثر ، ولا يضير ذلك الشاعر لان التأثر لا بدمنه ، وما من جديد إلا له أصل قديم يقوم عليه ويستند اليه في بناء نفسه وتفرده وتجدده . وكان لاهتمام الشاعر بالنصوص الرفيعة والوقوف عليها وقفة العالم المتبحر ، أثر في صفاء لغته وفصاحتها وابتعادها عن العامي المرذول والسفساف الساقط والاجنبي الشائن ، فليس في شعره كلمة

(٩٧) الديوان ص ٤٨٩ .
(٩٨) ديوان المتنبي ج ٤ ص ١٢٥ . قال الأثري : « الشرف الرفيع ليس من مبتكرات المتنبي وانما هو من الكلام الشائع ، والمأخذ يجب ان ينصب على جملة الفكرة وصياغتها » .
(٩٩) الشوقيات ج ٢ ص ٩١ .
(١٠٠) ينظر الديوان ص ٢٠٨ ، ٢٥٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣١١ ، ٣٨٧ ، ملاحم وازهار ص ٨١ ، ١٦٢ ، ١٧٢ .

ساقطة أوعامية أو دخيلة الا ما اقتضاه السياق على سبيل التطرف كاستعماله ، مثل « الروك أندرول » في قوله :

يريد دوبل أن يغري اليهود بهم   أن يرقصوا لليهود الروك أندرولا(١٠١)

وقد اقتضى المعنى أن تأتي هذه العبارة أو الكلمة الدالة على رقصة خليعة من مبتدعات رعونة الغرب . وكان لتعلقه بأصالة الكلمة العربية أثر واضح في غرابة بعض الالفاظ ولكن غرابتها تذهب بالنظر في تفسيرها في الحواشي أو في المعجم . ولعل الاثري يريد أن يبرهن على أن المعجم العربي كنز ذهبي ثمين يستطيع الشاعر أن ينهل منه ، وأن يُحيي في شعره ما ظنه بعضهم أنه ميت لا روح فيه . وقد أعاد الشاعر الحياة الى مئات الالفاظ التي اختفت في الشعر الحديث ، ودلل على ان العربية لغة شاعرة مطواعة لمن دقق النظر فيها وتعمق في دراستها ، وان معظم الالفاظ تصلح للشعر اذا وجدت الشاعر الموهوب الذي هذبته الثقافة الواسعة وصقلته الممارسة الطويلة ، وكان ذا احساس مرهف وذوق رفيع . وعبارة الاثري متينة كأنها البنيان المرصوص، فليس فيها قلق أو هلهلة أو ضعف ، وقد جاءت هذه السمة من النظر في أساليب البلغاء والتمعن فيها وتمثلها . وتشتد القصائد القومية والوطنية صلابة وسبكا لما للتجربة الشعرية من أثر في اختيار الالفاظ وصياغتها .

ففي قصيدة « كابوس الاستعمار »(١٠٢) وهي من بواكيره تتجلى الصياغة المتينة والسبك الرصين منذ المطلع :

نفى النومَ هَمٌّ بين جنبيَّ ماثلُ   فلا خافقي يهدا ولا السُهدُ راحلُ
أريد له السلوى وأنّى أنا لها   واستدفع البلوى وهميَ قاتلُ

(١٠١) الديوان ص ٢٤٩ ، ملاحم وازهار ص ١٧١ .
(١٠٢) الديوان ص ١٩٤ .

وأنّى لي السلوى وهمّيَ عارمٌ — وجرحيَ نضّاحٌ ودهريَ غائلُ
إذا شِمْتُ برقاً في دجى الليل وامضاً — فما هو إلاّ خلّبُ اللمح باخلُ
يمر علينا اليوم أسوان حائلا — فأرجو الذي يأتي وإذ هو جائلُ
وكائنْ من الايام أرجو فأثنني — وفي النفس منه كالمواسي طوائلُ

هذه جمل وعبارات صاغتها ثورة الشاعر على الاستعمار والظلم والاستبداد ، وهي ثورة عارمة متدفقة عنيفة لايليق بها التركيب المهلهل ولا النظم الرقيق .

وترق الصياغة في غير هذا الموقف وتلين العبارة حينما تهدأ نفس الشاعر ويعيش في جو آخر ، ويتجلى ذلك في قصيدة «السلام شريعة الاسلام»(١٠٣).

نَهَضَتْ والعلى الأربْ — حرةً تصنع العَجَبْ
تُنْشِيءُ المجدَ طارفاً — يصل التالدَ المَحّبْ
ثابتَ الأصل في الثرى — شامخاً عاليَ القُبَبْ
والذُّرى مَعْقَدُ الحِبا — ظ بل الشمْسُ والشهُبْ
تَصِلُ السيرَ بالسُّرى — وهوى العزةِ الطّلَبَ

ولعل خفة الايقاع سبب هذه الرقة والسهولة والصياغة التي تنساب انسياب الماء الرقراق من الينبوع الصافي النمير . وجرى الشاعر في بناء قصائده مجرى الشعراء القدماء والمحدثين الذين احتفظوا بوحدة البيت والقافية ، ومعظم قصائده موحدة الروي إلا بعض القصائد التي نهج فيها نهج الموشحات ، أو القصائد التي تقوم على المقاطع وتغير الروي مع الاحتفاظ بروي واحد يتردد في مقاطع القصيدة كلها ، وهو ماشاع في الشعر العربي منذ مطلع القرن العشرين وهام به شعراء المهجر وبعض شعراء الوجدان .

(١٠٣) الديوان ص ٥٣٥ .

والقصائد التي لم يلتزم فيها رويا موحدا هي : «في هوى الوطن» و «نشيد العرب» و «فتاة الحرية» و «نجوى الحرية» و «الامة العربية في مواجهة العواصف» أو «الامة العربية في مهاب الريح» و «رقصة الثأر» و «طلائع الفتح في معركة التحرير» و «النصر آتٍ لاجرم» و «شهداء الامة شهداء الحق» و «صباح الامل المنشود أو نشيد ١٤ تموز ١٩٥٨» و «القمرية المسهدة» و «عروس الشرق» و «نحن في حلم»(١٠٤) . والتزم أصول العروض العربي ولم يخرج عنه ، وطاف في معظم البحور المعروفة وكان للبحور المشهورة كالطويل والبسيط والكامل والخفيف والرمل حضور كبير .

(٥)

ان الأثري شاعر كبير يمثل عمود الشعر خير تمثيل ، وهو لم يتمسك بالقديم كل التمسك ولم يأخذ بالحداثة كل الاخذ ، وانما كان بين ذلك قواما، اذ جمع بين أصالة القديم وحداثة الجديد ، وتتجلى الاصالة في تمسكه باللغة الفصيحة لفظا وصياغة ، وفي حفاظه على روح العربية فجاء شعره وعاءً للغة القرآن الكريم ، وفصيح كلام العرب وبليغه . وتتضح الجدة في معانيه وصوره ، فهو قد طرق موضوعات معاصرة عاش في أحداثها وتفاعل معها وذاق حلوها ومرها ، وظل يتغنى بأمجاد الامة والوطن أكثر من نصف قرن ، ويثير الهمم ، ويدعو الى الخير والعمل الصالح ، وبناء المجتمع بناءً قويما تسوده المحبة ، وترفرف عليه العدالة والسلام . فالشاعر حلقة وسطى بين الموغلين في القديم والغارقين في الحديث أي أنه يمثل المرحلة الشعرية التي جاءت في

(١٠٤) ينظر الديوان ص ١١١ ، ١١٦ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٩٨ ، ٢٥٥ ، ٢٩٢ ، ٣٤١ ، ٤٦٠ ، ملاحم وازهار ص ٢٠١ ، ٤٧٢ ، ١٥١ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١١٦ ، ٢٧٤ ، ٣٢٠ ، ٣٢٩ .

أعقاب النهضة العربية الحديثة وقبل حركة الشعر الجديد التي يمثلها رواد الشعر الحر • ولا يعني هذا أن الشاعر ظل واقفا على أعتاب النصف الثاني من هذا القرن الذي كانت السيادة فيه لدعاة الحداثة ، وانما سار في طريق الشعر ، وواكب الحياة ، وفي ديوانه الاخير قصائد جديدة استمدها من أحداث العراق الاخيرة وهي الاحداث التي أثارتها الحرب العراقية الايرانية ، وصورتها بطولة الجيش والشعب في تصديهما للعدوان وفرض السلام على المعتدي الاثيم •

وقصيدتا « معلقة النصر العزيز والفتح المبين » و « السلام شريعة الاسلام » اللتان ختمتا الجزء الاول من الديوان تمثلان هذه المرحلة ، فقد قيلتا بعد حلول السلام في الثامن من آب ١٩٨٨م • فالشاعر لم يُلْقِ السلاح طوال عقود من الزمان ، وظل يتغنى بالشعر حتى اليوم بروح عالية ، وعزيمة ثابتة ، وشمم عظيم ، واباء كبير • ويبقى شعر الأثري مَعْلَماً من معالم الشعر العربي في القرن العشرين وإن وجد فيه النشء الجديدة صعوبة في اللغة ومتانة في التعبير ، ولكنه سيعود اليه حينما يشتد عوده ، ويتسلح بالثقافة العربية الأصيلة ، ويتسع أفقه وزاده ، اللغوي ، وحينئذ سيجد فيه أكثر مما في هذا البحث الذي كتب تحية للشاعر بمناسبة صدور الجزء الاول من ديوانه في عام ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م ، بعد أن صدر له ديوان «ملاحم وأزهار» في عام ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م ، وبعد أن يكون شعره قد صدر كله ليكون شاهداً على أصالة الشعر في هذا القرن العتيد (١٠٥) •

---

(١٠٥) قرأ الاستاذ محمد بهجة الأثري هذا البحث قبل نشره واضاف اليه ما يتصل بنشاطه الفكري ومؤلفاته ، وعلق على بعض الأبيات الشعرية وقد اثبت ذلك في الحواشي اعتزازا بارائه ، وتقديرا لعلمه ، واحتراما لنزهته التحررية .

المصــادر :

١ ــ الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة ــ الدكتور مصطـفى سويف . الطبعة الثالثة ــ القاهرة ١٩٧٠ م .
٢ ــ الاضبارة الشخصية للاستاذ محمد بهجة الأثري المحفوظـة في المجمـع العلمي العراقي .
٣ ــ حركة التعريب في العراق ــ الدكتور احمد مطلوب . الكويت ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣ م .
٤ ــ ديوان الأثري ــ محمد بهجة الاثري . بغداد ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م .
٥ ــ ديوان الاخطل . نشرة الأب انطوان صالحاني اليسوعي الطبعة الثـانية ــ بـيروت .
٦ ــ ديوان الأفوة الأودي . (ضمن كتاب الطرائف الادبية لعبدالعزيز الميمني). القاهرة ١٩٣٧ م .
٧ ــ ديوان الرصافي ــ بـيروت ١٣٨٩هـ ــ ١٩٦٩م .
٨ ــ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات ــ تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم . بيروت ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٨م .
٩ ــ ديوان المتنبي ــ تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبدالحفيـظ شلبي . الطبعـة الثانية ــ القاهرة ١٣٧٦هـ ــ ١٩٥٦م .
١٠ــ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ــ ابو بكر محمـد بن القاسـم الانباري . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ــ الطبعة الثـانية ١٩٦٩ م .
١١ــ شروح سقط الزنـد . القاهرة ١٣٦٤هـ ــ ١٩٤٥م .
١٢ــ شعر الاخطل الصغير ــ بشارة الخوري . بيروت ١٩٦١ م .
١٣ــ الشوقيات ــ أحمد شوقي . القاهرة .
١٤ــ ملاحم وأزهار ــ محمد بهجة الأثري . القاهرة ١٣٩٤هـ ــ ١٩٧٤م .
١٥ــ النقد الأدبي الحديث في العراق ــ الدكتور احمـد مطلوب ــ القـاهرة ١٩٦٨ م .
١٦ــ الهوى والشباب ــ بشارة الخوري (الأخطل الصغير) القاهرة ١٩٥٣ م .